النصر دائما للحكمة وليس للانفعال

إن الإنسان إذ يبيع ويشترى يحرص على مصلحته الخاصة ، فى البيع والشراء ، ولكن الإنسان الذى يتبرع لخير عام يجب أن يكون حرصه على المصلحة العامة وحدها ، لأنه رضى بالتنازل عن بعض ماله فى غير مقابل ، ورضى بذلك أمام الله وحده ، فليست له مصلحة خاصة ، وراء المصلحة العامة . كما رضى أن يكون جزاؤه على فعله الخير من الله ، وليس من أى إنسان آخر .

إبراهيم مصبّح

إن فعل الخير يسميه القرآن إحسانا كما جاء فى قوله تعالى « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » وإطلاق الإحسان على فعل الخير ، يفيد أن هذا الخير لابد أن ينطوى على حسن فى مضمونه ، وفى غايته ، وليس لأنه عطاء فى غير مقابل ، ومن لايكن إذن فعله للخير منطويا على حسن فهو يضحك على نفسه ، قبل أن يحاول خداع المولى جل جلاله .

ومما لاريب فيه أن المؤمن بالمبادئ إذا دخل دائرة الإيمان بها يدخلها عن التزام بها ، وليس هربا من الحياة السائدة الطاغية ، وهى حياة المنفعة دون أداء الواجب ، ومعنى الالتزام بالمبادئ ، هو تجاوز كل مصلحة شخصية حتى حياة المؤمن نفسه ، والتضحية بها فى سبيل البقاء مع الولاء للمبادئ .

وعلى جانب آخر بالنسبة للتأنى فى اتخاذ المواقف فى السياسة الخارجية ، يقول القرآن الكريم فى سورة الفتح : « إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية ، حمية الجاهلية ، فأنزل الله سكينته على رسوله ، وألزمهم كلمة التقوى ، وكانوا أحق بها وأهلها ، وكان الله بكل شئ عليما .

.. ويقرر الباحث الإسلامى الدكتور محمد البهى فى بحثه : « القرآن الكريم .. يقول : فى الإيمان .. والمؤمنين ، فى المادية .. والماديين ، فى السلوك .. والمواقف » الذى صدر عن مكتبة وهبة بالقاهرة :

إن هذه الآية الكريمة ، تعرض لموقفين مختلفين فى صلح الحديبية الذى عقده الرسول ﷺ مع زعماء قريش :

الأول : موقف المشركين بزعامة قريش ، فى مكة ، وهو موقف الرفض للرسول ، والمؤمنين معه ، أن يدخلوا مكة للطواف حول الكعبة ويؤدون شعائر العمرة ، وكان ذلك فى السنة السادسة من الهجرة فى شهر ذى القعدة . ورفض القرشيين من المشركين كان يعتمد على حمية الجاهلية . وهى عدم النظر فى واقع الأمر بفهم واسع للمستقبل .. وهى الأنفة والتعاظم ، والمنع بحق أو بباطل ، إذ كيف يقبلون الآن دخول المسلمين – وهم الضعفاء بالأمس فى مكة قبل الهجرة – للطواف حول الكعبة حيث يقيمون ، وحيث يمارسون زعامتهم ؟ فنحوهم حيث لا يحق لهم أن يمنعوهم ولا أن يمنعوا الهدى الذى استصحبوه معهم من المدينة ، ليبلغ محله حيث يحل نحره من الحرم . فالكعبة للجميع من العرب ، وليست لقريش وحدها ، وإن كانت لهم الزعامة الدينية فيها .

الثانى : هذا الموقف من الرفض ، عرف به المسلمون وعلى رأسهم الرسول ﷺ ، وهم بالحديبية – وهى البئر التى كان يشرب منها أصحاب النبى عندما ما حال المشركون بينهم وبين زمزم فى مكة .. وكانوا على مرحلة من مكة وغير مسلحين فكان أن بايع المسلمون رسول الله ﷺ ، على التضامن والبقاء معه ، وعلى الدخول الى مكة إن اقتضى الأمر . وسميت هذه البيعة : بيعة الرضوان .

وكان من نتائجها : أن حقنت الدماء من القتال مع المشركين .. وأن عرف هؤلاء شأن المسلمين ، فوافقوا معهم ما يسمى بصلح الحديبية ، بينما كانوا لا يعترفون بهم من قبل . والقرآن يقضى ذلك فى قول الله تعالى :

« وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم » أى من بعد أن حملهم على الاعتراف بكم كقوة ، كجماعة لها كيانها الخاص ، تؤمن بالله وحده ، وهذا نصر لكم وعلى الأقل من الوجهة السياسية .

وقد تضمن عقد الصلح بين الطرفين أن يرجئ المسلمون دخول مكة للعمرة إلى العام القادم ، بدلا من هذا العام ، الذى تواجدوا فيه فى الحديبية . واعتبر بعض المسلمين أن قبول هذا الشرط فيه مساس بكرامتهم ، وكان على رأسهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولكن الله يثنى عليهم فى هذا الموقف . يثنى عليهم أن حكموا فيه الواقع والمنطق . وابتعدوا عن استخدام الحمق والاستكبار والتعاظم والعنجهية ، أو مما يسميه بحمية الجاهلية فيقول :

« فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » .

أى هيأ لهم طمأنينة النفس وهدوء البال ، ليتمكنوا من الفصل فى الأمر من غير انفعال .

« وألزمهم كلمة التقوى » : أى مع التزامهم بمبدئهم فى الاعتقاد الذى تجمعوا حوله ، وهو مبدأ التوحيد ، وطرح الشرك . بينما يصف موقف الرفض من المشركين بأنه وليد الانفعال والحماقة ، فى قوله « إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية ، حمية الجاهلية » .. أى لم يفكروا فى موقفهم تفكيرا سليما ، إنما دفعوا إليه عنادا واستكبار ، فلم يقدروا : أن جماعة المسلمين ستكون يوما ما أمة قوية ، وربما تقتحم عليهم منازلهم فى مكة ، موطن زعامتهم .

والحق : أن موقف المسلمين فى صلح الحديبية لم يكن ناشئا عن ضعف ، بل كان هناك من الله تأكيد بنصرهم لو قاتلوا المشركين يوما ما .

« ولو قاتلكم الذين كفروا » وهم قريش وزعماء مكة « لولوا الأدبار ، ثم لايجدون وليا ولانصيرا ، سنة الله التى قد خلت من قبل » ونصر الله للمؤمنين على الكافرين مبدأ من المبادئ الاجتماعية ، وظاهرة من ظواهر التاريخ « ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

وقد توافرت للمسلمين بصلح الحديبية اعتبارات :

أولا : اعتراف المشركين من قريش بالذات ، وهم أهل الزعامة الدينية ، بالمسلمين .

ثانيا : بيعة الرضوان .. وهى عهد توابط بين المسلمين يقوم على التضامن فى السراء والضراء .

ثالثا : حماية الأقلية المسلمة التى تعيش بين المشركين فى مكة ، والمسلمون هناك غير معروفين لإخوانهم الذين قدموا من المدينة ليعتمروا ، ولم يمكثوا .

إن أوضح طلائع النصر كانت فى صد المشركين للرسول والذين معه من المؤمنين ، عن بيت الله الحرام ، وقد جاء إليه معتمرا معلنا السلام فى كل مظاهر قدومه من المدينة ، فلم يكن صدهم إياه عن دخول مكة هزيمة كما حسبوا بل كان نصرا عزيزا سجلته سورة من كتاب الله :

« إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وماتأخر ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا .

د . محمد البهى

حديث شريف

رجب.. شهر الله

قال الرسول ﷺ :

« رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أمتي » .

والأشهر الحرم ، أربعة . ثلاثة متتاليات : ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم . وشهر مفرد هو رجب ، ولذا سمي رجب الفرد ، لأنه شهر فرد في الأشهر الحرم .

العشرة البررة

روى عن رسول الله ﷺ قوله :

أرحم أمتي بأمتي أبو بكر .

وأقواهم في دين الله عمر .

وأشدهم حياء عثمان .

وأقضاهم علي .

ولكل نبي حواري ، وحواري طلحة والزبير .

وحيثما كان سعد بن أبي وقاص كان الحق معه .

وسعيد بن زيد من أحياء الرحمن .

وعبد الرحمن بن عوف الزهري من تجار الرحمن .

وأبو عبيدة عامر بن الجراح أمين الله وأمين رسوله .

أركان الإسلام

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول .

« بني الإسلام على خمس :

شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .

وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » من التراث

دعـــاء

كان النبي ﷺ يقول بعد التكبير : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .

اذهبوا فأنتم الطلقاء

لله أنت يا مصر . كم آويت من غربة . وأطعمت من جوع . وآمنت من خوف . شهد لك بذلك يوسف الصديق إذ قال لأبويه وإخوته « ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين » وكلم الله موسى حين أمره « وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين .

وكان ذلك قدرها مع حكام العرب من قبل أن يظهر عندهم البترول ، ويجري في أيديهم الدينار والدولار . ولازال أكاديمها تتعلم مجانا في أزهرها وجامعاتها علوما ومعارف تتوددهم في بلادهم إلى رفيع الدرجات وسامي المناصب ، كما تعلموا هم من قبل ، وأفسح لهم آباء مصر في المكان والزمان كرما وايثارا ، يجيون من هاجر إليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

وقد خطتها جميلها في هذا وفي تحرير العرب وتعمير بلادهم ، وأنكره أبو رقيبة والقذاق وبومدين وخلفه ، ولذلك الحسن وياسر عرفات .. واعترف به وشكره الملك محمد الخامس والملك السنوسي والملك سعود والملك فيصل دون بيللا .

وما كادت مصر تحيج للسلم بعد حروب بعيدة عنهم ، حتى شقوا عصا الطاعة ، وكفروا بها وبعلمائها في الساحات والمؤتمرات والمحافل ، والفقوا – مكافأة لها – على تجويع شعبها والفجور في الخصومة ، ونسوا أن الله الرزاق قد حماها من كيدهم فما جاعت بل جادت ، وماهيضت بل نهضت ، وخاب ظنهم ، ورد الله كيدهم في نحورهم . ولكن ماذا تصنع مصر في مستقبلها مع هؤلاء الرافضين ؟ هل تتجاوز عنهم أو تجازيهم بأعمالهم ؟ وعندي أن تتجاوز وتتمثل بقول الحكيم .

كن كالنخيل على الأحقاد مرتفعا
يرمى بصخر ويعطى أطيب الثمر

فإن مصر من قديم الأزمان بحر تحي صوب الماء ، لايعكره عبث العابثين ، ولاكيد الكائدين ، فليستمر عطاؤها ومددها ، وليجد أطباؤها في معالجة مرضاهم ، ومهندسوها في بناء مصانعهم ، ومدرسوها يعلمون أولادهم ، وعمالها يشقون طرقهم . وغدا سينطفئ العبث ، ويصحو الذكي ، وينطفئ المجنون ، ويتواضع المستكبر ، ويزول الحاسد . وستعلو فوق ذلك مصر علوا كبيرا ، وسينصرها الله الذي نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، بعد أن مكروا به ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه . وفي إبان نصره ، وخطفة غلبته ، قال لهم :

ما تظنون أني فاعل بكم ؟

قالوا : خيرا .. أخ كريم وابن أخ كريم .

قال : لا أقول لكم إلا ماقال أخي يوسف لإخوته : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . اذهبوا فأنتم الطلقاء » ثم العفو منهم جندا كثيفا كانوا أشد أجناد الأرض . وذلك خلق عظيم ما اعتقله عظيم إلا ساد وأفاد واطمأن .

ورحم الله الفاروق عمر بن الخطاب الذي قال : لايمكن حبك كلنا ولابغضك لنا .

ومعاوية ابن أبي سفيان بحكمته المشهورة « لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، إن شدوا أرخيت ، وإن أرخوا شددت » . وأبا الدرداء الذي أثر عنه « إذا تغير أخوك فلا تدعه ، فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى ... وإبراهيم النخعي يقول لأحد تلامذته « لا تهجر أخاك ، ولاتقطعه بذنبه ، فإنه يرتكبه اليوم ، ويتركه غدا » وصدق القائل :

حد من خليلك ماصفا
ودع الذي فيه الكدر
فالعمر اقصر من معا
تبة الخليل على القذر

إن مصر كانة الله في الأرض من أرادها بسوء قصمه الله .

محمود حسنين العيسوى

صحابيات

أول شهيدة في الإسلام

وإذا كانت الشهادة شرفا لايدانى ، ومنزلة لاتضاهى ، ومقاما ساميا كريما ، فقد شرفت بهذه الحظوة « سمية » أم عمار . لا لأنها استشهدت فحسب ، فهذه منزلة بلغها الكثير من الرجال والنساء ، ولكن لأنها كانت « أول شهيدة » فلم يسبقها إلى الشهادة رجل ولا امرأة ، فنالت بذلك مرتبة لم ينلها قبلها مسلم ولامسلمة ، ولايزال التاريخ يحفظ لها بهذه المنزلة ، وتتواتر بها الأخبار ، وتتناقلها الألسنة في إكبار وإجلال . فإذا قيل ومن سمية ؟ قيل على البداهة أول شهيدة ، فكان ذلك شرفا .

قال ابن عبد البر : حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال : أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ، وأبو بكر ، وبلال ، وخباب ، وصهيب ، وعمار ، وسمية أم عمار ، ومعنى : أول من أظهر الإسلام ، أي أول من جهر بالعقيدة الجديدة .

قال صاحب الاستيعاب « وصبرت على الأذى في ذات الله ، وكانت من المبايعات الخيرات الفاضلات ، رحمها الله » .

فإذا وضعنا هذه الصفات الأربع بين أيدي نساء العصر وفياته ، وبين أعينهن أما مواقفهن . يا ترى ؟

إنها صبرت على الأذى في ذات الله ، والصبر يبعثه الإيمان القوي والحب النقي . وفي ذات الله لا ابتغاء دنيا من مركز أو زوج أو جاه أو شهرة ، ولكنه الصبر الذي يخرج من الينابيع الصافية ، وليس لدينا أصفى من الإيمان بالله ورسوله ، ولذا كان لها ثواب الصابرين .

وبايعت ، والمبايعة عهد وميثاق ينتهيان بصاحبهما إلى الوفاء بحق الله وبحق رسوله والآية تقول : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم » . فهي إذ تبايع الرسول فإنما تبايع الله ، وتشهده على المبايعة ، وإشهاد الله وثيقة أخرى تعطي المبايعة معنى القوة والوفاء .

وكانت من الخيرات الفاضلات ، والخير والفضل إذا اجتمعا في مؤمن فقد اجتمع له عنصران لهما مقامهما في مسلك المؤمن ، فالمؤمن الخير الفاضل معتصم بالفضيلة ، ناء عن الرذيلة ، والمؤمن الخير الفاضل له سمات تميزه عمن عداه ، فقيه وفازه ونبله وسخاء يده ولسانه وفمه ، وهو محبوب موفر قريب من الله ومن الناس ، يصاحبه خيره وفضله حيث حل وحيث رحل ، فياليت نساء العصر وياقياته في ولكن الله هل من اقتداء ؟

اللهم إن للدين ربا يحميه ، اللهم فاحم دينك

محمد السيد الداودى